أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَام،

إِنَّنَا فِي عَصْرِ الْمَعْلُومَاتِ هَذَا، نَسْتَطِيعُ بِشَكْلٍ سَهْلٍ وَسَرِيعٍ أَنْ نَتَعَرَّفَ عَلَى مَا يَجْرِي فِي الْعَالَم. وَكُلُّنَا نَسْتَفِيدُ مِنْ إِمْكَانِيَّاتِ الْعَصْرِ التِّكْنُولُوجِيَّة. وَرَغْمَ إِمْكَانِيَّةِ التَّوَاصُلِ السَّرِيعِ هَذِهِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ فِي وَسَطِ هَذَا الْازْدِحَامِ يُعَانِي مِنَ الْوَحْدَةِ كَمَا لَمْ يُعَانِ مِنْهَا فِي عَصْرٍ مَضَى. لِأَنَّنَا رَغْمَ عِلْمِنَا بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ عَلَى الْمُسْتَوَى الْعَالَمِيّ، فَإِنَّنَا نَغْفَلُ أَحْيَانًا عَنْ أَحْوَالِ النَّاسِ الْمُقَرَّبِينَ إِلَيْنَا. وَمِمَّا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مُشْكِلَةُ ضَعْفِ التَّوَاصُلِ هَذِهِ؛ إِهْمَالُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِهْمَالِ إِصْلَاحِ الْأَوْسَاطِ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا. وَقَدْ مَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَنْ أُمَّتِهِ إِذْ قَالَ: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾.[1] فَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ وَظَّفَنَا بِتَبْلِيغِ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ وَبِمَنْعِ الشَّرِّ وَالْمُنْكَر. وَإِغْفَالُنَا لِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُسَبِّبَ ازْدِيَادَ الْمُنْكَرَاتِ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا وَتَفَشِّي الْمَعَاصِي فِيهَا.

إِخْوَتِيَ الْأَعِزَّاء،

مِنَ الْمُلْفِتِ جِدًّا أَنْ يَعُدَّ النَّبِيُّ ﷺ النَّصِيحَةَ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْض. فَإِنَّهُ ﷺ قَالَ حِينَ سُئِلَ عَنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِم: «**إِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَه**».[2] وَقَدْ قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَنَا أَجْمَلَ نَمُوذَجٍ لِلنَّصِيحَةِ وَالتَّذْكِيرِ بِالْمَعْرُوف، وَلَا شَكَّ أَنَّ سَبَبَ أَفْضَلِيَّتِهِ ﷺ فِي هَذَا الْخُصُوصِ هُوَ قُرْبُهُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِين. كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَنْشِطُ بِالْقُرْآنِ وَيَذْهَبُ تِكْرَارًا إِلَى بَابِ مَنْ يَطْرُدُهُ فِي كُلِّ مَرَّة، لِيَنْصَحَهُمْ وَيَدْعُوَهُمْ بِأُسْلُوبٍ حَسَنٍ جَمِيل. كَانَ ﷺ يُفَوِّضُ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا كَانَ يُؤْذِيه، وَيَسْتَعِينُ بِهِ وَلَا يُهْمِلُ قَطُّ ﷺ مُهِمَّتَه. لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ صَادِقًا وَمُخْلِصًا حَقِيقَةً فِي إِرَادَتِهِ الْخَيْرَ وَالصَّلَاحَ لِأُمَّتِه.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَام،

نَفْهَمُ مِنْ هَذَا، أَنَّهُ بِقَدْرِ مَا تَكُونُ عَلَاقَتُنَا بِاللَّهِ تَعَالَى قَوِيَّةً صَحِيحَة، تَكُونُ نَصِيحَتُنَا لِلنَّاسِ صَادِقَةً وَمُخْلِصَة. فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَضْمَنُ سَلَامَةَ نِيَّاتِنَا وَأَسَالِيبِنَا فِي النَّصِيحَة. لِذَا يَجِبُ عَلَيْنَا حِينَ نَأْمُرُ أَحَدًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَنْهَى أَحَدًا عَنْ مُنْكَرٍ أَنْ نُشْعِرَهُ بِأَنَّنَا نُرِيدُ لَهُ الْجَنَّةَ فِعْلًا. وَلَا نَتَعَالَى عَلَيْهِ فِي كَلَامِنَا وَتَصَرُّفَاتِنَا مَعَهُ كَأَنَّنَا نَرَاهُ فِي حُفْرَةٍ مِنْ حُفَرِ جَهَنَّم. وَعَلَيْنَا أَنْ نَصْبِرَ عَلَى رُدُودِ الْأَفْعَالِ الْجَارِحَة، وَلَا نَنْسَى أَنَّ مَا نَحْنُ فِيهِ لَيْسَ أَمْرًا شَخْصِيًّا، بَلْ هُوَ لِخَيْرِ وَصَالِحِ جَمِيعِ الْبَشَرِيَّة. فَالنَّصِيحَةُ تَتَطَلَّبُ الدَّوَامَ وَالْاِسْتِمْرَارَ عَلَيْهَا، وَمِنْ شَأْنِ الدَّوَامِ عَلَيْهَا أَنْ يَجْلِبَ الصَّبْرَ إِلَى صَاحِبِهَا.

إِخْوَتِيَ الْأَعِزَّاء،

يَنْبَغِي عَلَيْنَا ـ وَالْحَالَةُ هَذِهِ ـ أَنْ نَنْتَبِهَ لِلْأُمُورِ الَّتِي تُعَكِّسُ صِدْقَنَا أَثْنَاءَ النَّصِيحَة. يَنْبَغِي أَنْ نَنْتَبِهَ لِمَبْدَأِ السَّتْرِ أَثْنَاءَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَر. فَالنَّصِيحَةُ إِذَا كَانَتْ وَجْهًا لِوَجْه، كَانَتْ أَدْعَى إِلَى أَنْ يَسْتَجِيبَ الْمُخَاطَب. أَمَّا النَّصِيحَةُ فِي الْعَلَنِ فَهِيَ تُسَاوِي الْعِتَاب، وَقَدْ تُعْتَبَرُ إِهَانَةً لِلْمُخَاطَب. وَيَنْبَغِي فَوْقَ ذَلِكَ أَنْ تَمْتَلِئَ قُلُوبُنَا بِالشَّفَقَةِ وَالْحُبِّ لِمَنْ نَنْصَحُه، وَأَنْ نَلِينَ لَهُ فِي الْكَلَام. فَالْغِلْظَةُ وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ سَتُبْعِدُ عَنَّا مَنْ نُخَاطِب. بَلْ قَدْ يُؤَدِّي سُلُوكٌ كَهَذَا إِلَى نُشُوءِ أَوْ تَرْسِيخِ النُّفُورِ مِنْ دِينِ اللَّهِ لَدَى الْإِنْسَان. وَشَرْطٌ آخَرُ لِلنَّصِيحَةِ أَنْ نَكُونَ نَحْنُ نَعْمَلُ بِمَا نَنْصَحُ بِهِ غَيْرَنَا. فَإِنَّ عَدَمَ ذَلِكَ قَدْ يُعَكِّسُ الْكِبْرَ وَعَدَمَ الصِّدْق، وَيَمْنَعُ إِقْنَاعَنَا لِلْآخَرِين. عَلَيْنَا أَثْنَاءَ الْقِيَامِ بِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ أَنْ نُجَدِّدَ نِيَّاتِنَا دَائِمًا وَنَنْوِيَ نَيْلَ مَرْضَاةِ اللَّه، وَأَنْ نُجَدِّدَ مَعَارِفَنَا عَنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَنُطَوِّرَهَا مِنْ خِلَالِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّة.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَهْدِيَنَا وَيَهْدِيَ بِنَا، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرَاتِ وَمَغَالِيقَ لِلشُّرُور، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْه. آمين.

IGMG

[1] سورة آل عمران: ١١٠

[2] صحيح مسلم، كتاب السلام، 3، الحديث رقم (٢١٦١)